العدد (1244) الاثنين (9) حزيران 2008
NO. (9) Mon . (1244)June

صورة من بغداد في نيسان عام ١٩١٦ كما رواها الاستاذ عبد القادر المميز

في اليوم السادس عشر من نيسان سنة ١٩١٦ كانت مدينة بغداد في فرح عظيم لايوصف ذلك لان الجيش البريطاني المحصور في الكوت تحت قيادة الجنرال تاوزند سلم بلا قيد وشرط الى قائد الجيش التركي خليل باشا.. واذا علم القارىء ان الجيش التركي لم يستفتح من بداية الحرب حتى سقوط الكوت باسير واحد من اسرى الانكليز وان ذلك الجيش تجاوز عدده الثلاثة عشر الفا.. يدرك اسباب فرح الترك بذلك الانتصار الباهر.

دخل الجنود الاتراك بلدة الكوت وكانت باكورة اعمالهم سلب الاطعمة الموجودة في الباخرة الانكليزية (جلنار) التي ارسلها الجنرال نكسون من البصرة لامداد الجيش الانكليزي المحصور في الكوت والتي اسرها الاتراك قبل وصولها.. لان الجيش التركي كان في ضيق شديد من جهة الارزاق فالنفر التركي لاياكل الا (قلاطة) بينما النفر الانكليزي والهندي يشرب الصودة والليمونات وهو جالس في الخنادق والحاصل (الحجي) طويل:

انتشر خبر الانتصار في بغداد ودقت طبول الفرح والبشائر فهاجت الناس وماجت ولاول مرة منذ اعلان الحرب سمعنا صوت الجالغي البغدادي في قهوة سبع حيث جلس الاستاذ صالح شمولي الكمانجي والسنطورجي يوسف بتو وابو الدف يوسف حمو يغنون بستة.

يا حب الغالي يا حب.. عبدك واريد انخاك.. ياعبودي لاياحبيبي ياحب.

وكان مدير معارف ولاية بغداد رجل التضحية والاخلاص والمعالي حكمت بك سليمان اراد ان يشرك جميع طلاب المدرسة في افراح الجيش فاصدر امرا بتشكيل (فنر الابي) وذلك بان تجمع جميع المدارس في المستشفى العسكري (المستشفى الجمهوري الان) فيسير الطلاب في الشارع العام بعد ان يحمل كل واحد منهم فانوسا بيده ابو الشمعة ويذهب هذا الموكب العظيم الى قبر الالماني القائد غولج باشا او (قولنج باشا) على حد تعبير امهات الكراع.. كنا انذاك في الصف السابع وكان طلاب الصف الثاني عشر كلهم مرشحين الى خدمة الاحتياط في الجيش يهزؤون بالاوامر ويسخرون من التعليمات واذكر منهم السيد سلمان الشيخ داود المحامي عبد الرحمن خضر حاكم بداءة الموصل. والدكتور توفيق رشدي والدكتور شاكر السويدي. وعبد الكريم باي. سارت مواكب المدارس في ابهة عظيمة بين الاضواء المتلألئة وهلاهل النساء وتصفيق الاهلين وكانت مدرستنا تسير وراء مدرسة الصنائع وطلاب مدرسة الصنائع كلهم بهلوانيون في حين ان كل واحد من طلاب مدرستنا ينطبق عليه الشعر..

خطوات النسيم تجرح خديه.. ولمس الحرير يدمي بنانه.

ولكن شاء السيد سليمان الشيخ داود ان يسبب لنا نكبة في تلك الليلة وكان مع رفاقه يمشون في الصفوف الامامية فمزق النظام واراد ان يسبق مدرسة الصنائع التي ابت الانصياع لرغبته وحصلت مشادة عنيفة بين الطرفين انتهت بشجار عنيف جرى كل ذلك في محل مقابل لاوتيل سافوي وكنت اسير جنبا الى جنب مع كمال عبد المجيد (مدير ناحية الاعظمية) واذا بنا نرى طلاب مدرستنا يتراكضون وراء تلاميذ الصنائع يعقبونهم بسرعة مدهشة.

(اويلاخ راسي.. يامعودين راح اموت.. دخيلكم).

هذه الصيحات التي كنا نسمعها من رفاقنا في وسط ذلك الظلام الدامس بعد ان تحطمت جميع الفوانيس التي كنا نحملها معا من اثر الراشديات والكفخات.

واخيرا لم ار بدا من ان امسك كمال من يده قائلا:

اولاد.. خلي انعالك والا ترة نطلع من خشمنة..

توكل على الله.. موافق..

ثم اخذنا نركض من شدة الخوف في وسط الشارع العام الذي كان يومئذ مكدسا بالحجار والاتربة وسقطنا على غفلة في حفرة يبلغ عمقها تقريبا المتر وانكسرت فوانيسنا على اثرها كما كان كمال يضحك بشدة من جراء هذا الوضع بشدة ومن جراء بعض النكات التي كنت ألم بها اخيرا ساعدنا بعض الرفقاء واخرجونا من الحجرة فكان منظرنا مضحكاً لان ملابسنا استحالت الى لون (المرمري) من كثرة الاوحال التي تلوثت بها ثم رجعنا الى دورنا مشتتين مبعثرين بعد ان كان ذهابنا في بادىء الامر يضاهي الامر العسكري. وفي اليوم التالي طرقت مسامع حكمت بك سليمان هذه الاخبار المزعجة فاسف لها اسفا شديدا وحضر الى مدرستنا بعد ان جمع الطلاب في غرفة واحدة والقى علينا خطبة طويلة انبنا فيها تانيبا شديدا فقاطعه السيد سليمان الشيخ داود.. بيك فوك حكة دكة.

ولكن حكمت بك وجه قارص كلامه اليه والينا بالطبع فكانت لكلماته عبرة بليغة في نفوسنا حتى تركنا مدرستنا المحبوبة على اثر دخول جيش الانكليز الى بغداد.

اول الغيث

المتنبي حارسا لشارع المتنبي..!

عادل العرداوي

كثر الحديث عن (شارع المتنبي) بل وتشعب وغدا هذا الشريان الثقافي البغدادي العريق مثار ذكريات معظم ذوي الشان الثقافي سواء منهم في داخل البلاد او خارجها حيث انهالت ذكرياتهم تلك عبر مقالات وكتابات عديدة زخرت بها عشرات الصحف ومواقع (الانترنيت) التي تناولت (موضوع المتنبي) الشارع الذي تعرض لتلك الضربة الغادرة الفاجرة قبل اشهر مضت

...

وفي خضم ذلك النقاش الحميم، والتعاطف الكبير الذي حظي به الشارع (شارع الثقافة البغدادي)، على الصعيدين الشعبي والرسمي، يتصاعد العمل من قبل امانة بغداد لتنفيذ التصاميم الجديدة التي اعدتها لصيانة واعادة تاهيل هذا الشارع الحيوي التي تقوم حاليا بتنفيذه بشكل مباشر من قبل دائرة المشاريع، المعنية بالامر بفترة (١٨٠يوم عمل) فالتصاميم التي تنفذ على الارض حاليا ستجعل من (المتنبي) الشارع صورة الحلم الذي كنا نتمنى ان تكون متجسدة على ارض الواقع حيث سيكون الشارع مخصصا قولا وفعلا للكتب والمكتبات وللثقافة ومن واهل الثقافة ومن يحسب عليهم ومااكثرهم..والاهم من هذا فان المخططات والتصاميم الجديدة، التي فازت من بين مجموعة تصاميم اخرى قدمت للمسابقة تنص على ان يتحول الشارع لسير السابلة فقط من دون سيارات وهذه نقطة جديرة بالاهتمام لحماية الشارع ومقتنياته وروداه من تلك السيارات الملغمة والمفخخة (الملعونة) التي تحصد (الاخضر واليابس) من دون تمييز والتي تعرض لها هذا الشارع الهادىء قبل فترة اودت به وبرواده ومحلاته ومقاهيه ومكتباته التراثية العتيدة التي تحولت الى اكوام من الرماد والانقاض..!!وللدلالة على اهمية الشارع وارثه التاريخي العتيق فان مشروع التطوير يتضمن اقامة نصب شامخ لشاعر العرب الاكبر (ابو الطيب المتنبي) سيكون موقعه في نهاية الشارع من جهة بناية القشلة ومدخل سوق السراي ومقهى اهل الادب والثقافة (الشابندر) كما كانت من قبل منذ اكثر من قرن مضى..

ان نجاح الامانة ومعها الجهود الخيرة من هذا الجانب او ذاك ..وبعض المؤسسات الاكاديمية والثقافية في انجاز مشروع تاهيل شارع المتنبي، سيشجعنا لان نطالبها باعادة تاهيل شارع الرشيد القريب منه هذا الشريان العراقي الخالد الذي لاتقل اهميته عن شقيقه شارع المتنبي ...

بعض المؤسسات الاكاديمية والثقافية في انجاز مشروع تاهيل شارع المتنبي، سيشجعنا لان نطالبها باعادة تاهيل شارع الرشيد

أسواق بغداد القديمة

اطُلقت الاسماء على الاسواق اما بسبب تجمع صُناعي مثل سوق الصفافير وسوق الحدادين وسوق اليمنجية أي صانعوا اليمنيات او على تجمع تجاري مثل سوق البزازين وسوق العطارين وسوق الازر وعباءات الكلبدون او على علم من الاعلام مثل سوق المولة خانة نسبة الى تكية المولوية وسوق حنون وفي اسواق الكرخ التي كانت لها شهرة عريضة.

-١سوق حمادة: ويظهر ان حمادة كان اما مالكا لبعض الدكاكين فيما مضى او كان عطارا او نقالا مشهورا وسوق حمادة اطلق على المحلة كلها التي تبدأ من خط الترامواي مقابل شاطئ الجودي الى مقاهي عكيل فالى العنازية ثم خانات الاباعر وتتصل بسوق اللبن والشيخ علي وقد كان يسكن هذه المنطقة جماعات من السوامرة والتكارتة والجبور والجيالة (الكيالين) والعانيين والراويين حتى الجعيفر وتشتهر سوق حمادة عدا المواد التي كانت تباع فيه مثل بقية الاسواق بمقاهي عكيل وخانات الا باعر واسطبلات الخيل.

-٢سوق العلاوي (جمع علوة) ويبدأ من جامع الشيخ مندل ويمتد حتى الحدادين في محلة الدوريين قرب بيت مصطفى الخليل والى سوق الجصاصة في ساحة الشهداء وفي هذه السوق علاوي الطعام (الحبوب) وعلاوي الفرز والبزازات (معامل الدبس) والحدادون الذين يصنعون لوازم الفلاحين وكان ملتزم العلوة شاكر العاني ومسؤولها سليمان الهدبان يفرغون الساحة في ايام عاشوراء حيث تتجمع المواكب في طريقها الى بيت النواب.

-٣ سوق السراي: وهي على قسمين الاول يتجه بعد عبور الجسر القديم نحو سراي الحكومة (القشلة) وفي رأس السوق المختصون بكوة الطرابيس وهم من اليهود واشهرهم (يونا) الذي يلبس الصاية الصيفية شتاء وصيفا اما سوق السراي من الجهة الثانية فاول ما يقابلك فيها الصيارفة (على الرجل) مع اكياس نقودهم وخشخشة ريالات (ماريا تريزا!) او المجيديات تمهيدا للدخول الى السوق للتبضع وكثيرا ما كانت المعارك والشتائم تدور بسبب الخلاف على سعر الليرة العثمانية الذهبية او الرشادية منها او الحميدية ثم ياتي دكان حسون ابو الجبن المشهور بمواقفه الوطنية وجبنه وعسله.

-٤ سوق هرج في منطقة الميدان: يتصدر السوق بيت عبدالحليم الحافاتي بشناشيله المطلة على شارع الرشيد. وكان الحافاتي من جملة مرتزقة الاوقاف ووظيفته مراقبة ساعات الحائط بجامع السراي مقابل القشلة وكان معمما ذرب اللسان نسابة يذهب الناس الى ديوانه المشرف على شارع الرشيد ويدور الحديث فيه على الاغلب عن مثالب الاعداء والخصوم وخصوصا مثالب وعيوب الملك فيصل الاول وحاشيته لان الحافاتي لم يستفد من الملك فيصل شيئا ولم يتقلق دعوة واحدة للعشاء في شهر رمضان خلافا لبقية المعممين مما اثار غضبه واستياءه وبعد مراقبته ومضايقته ونقل ما يدور في ديوانه الى الحاشية الملكية هرب الى قصره الكبير في محلة السفينة بالاعظمية.

وفي سوق الهرج هذه يباع ويشترى كل شيء يخطر على البال او لا يخطر ابتداء من الاموال المسروقة وانتهاء ببيع الاثاث البيتية وفي هذه السوق مقاهٍ ومطاعم ودكاكين وبائعو الخردة فروش والحاجيات المختلفة وافران وكل هذه لتلبية رغبات وحاجات سكان محلة الميدان.

-٥سوق العطاطير: وتبدأ من جامع مرجان ودرجات سلمه المؤدية الى صحنه المنخفض كثيرا عن الشارع ثم دكاكين العطارين وقد سميت السوق باسمهم ثم الى سوق الصابون في زقاق السادة الحسينية وخلال هذه السوق كانت دكاكين اليهود الذين يبيعون الحامض حلو والملبس وبقية الحلويات بالجملة.

-٦سوق الغزل: بجوار جامع الخلفاء ومنارته المشهورة وكان يباع فيها الغزل المجلوب من النساء البغداديات كما يباع فيها القطن الابيض والاسمر لعمل الدواشك واللحف ولم يكن في السوق المذكورة هذا التجمع الكبير لباعة وهواة الطيور والحيوانات الاليفة لان هاوي الطيور كان غير محبوب ولا محترم عند الناس. كانت في السوق بضعة دكاكين فقط لبيع الطيور وهي دكاكين صغيرة جدا وفتحاتها مستورة بالكواني خجلا من هذه المهنة.

-٧سوق حنون وتبدأ من محلة قمبر علي وتنتهي بسوق الشورجة وهي قسمان حنون الكبير وحنون الصغير وتباع في السوقين مختلف حاجات الماكل والمشرب. واسواق اخرى مثل سوق الصاغة وسوق علاوي الصدرية وعلاوي العوينة وغيرها من الاسواق.

التعليم في بغداد

الزهاوي يقترح ان تكون منارة سوق الغزل مدرسة للبنات!!

المعلمون قادوا حركة السفور وملا خضر يوفر الجثث لطلبة الطبية!!

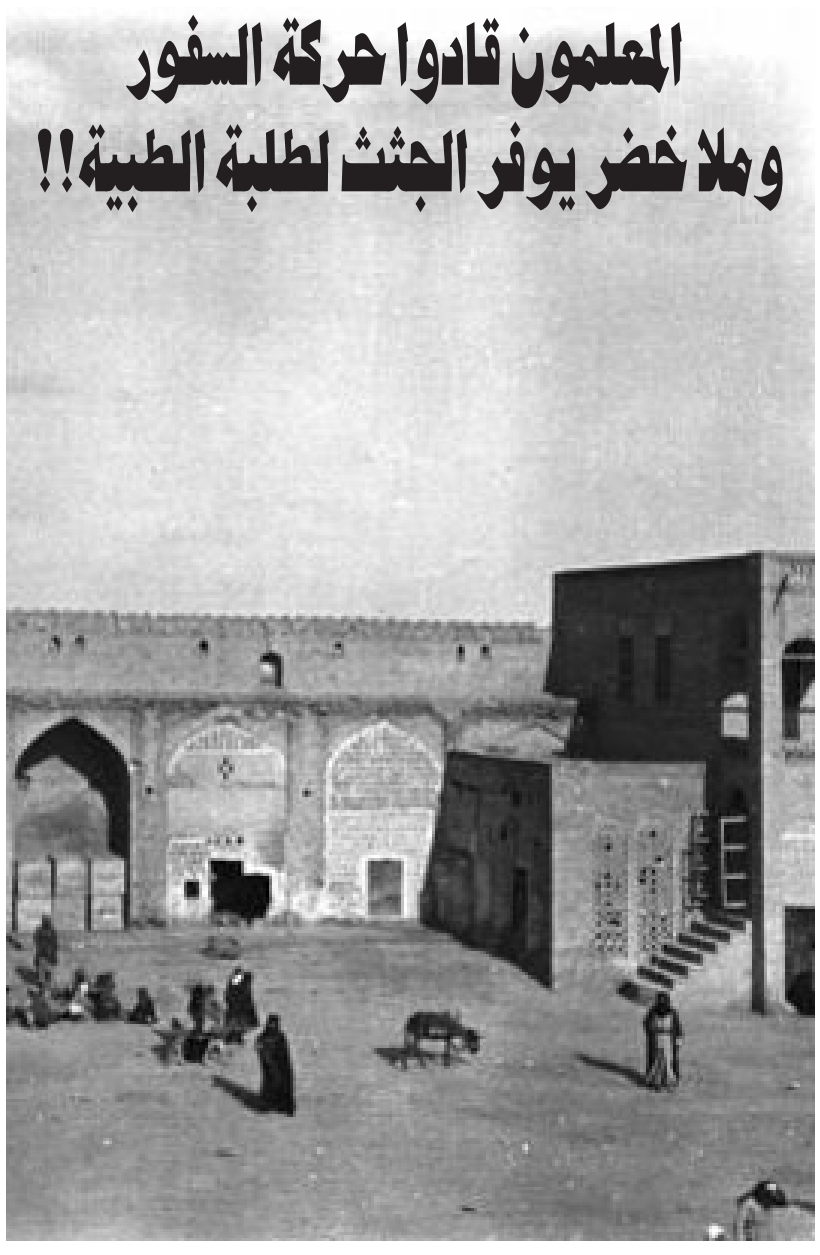

حسين الهزاز

كثيرة هي التقارير التي صدرت عن التعليم في العراق ابتداء من تقارير مس بيل حتى دخول العراق عصبة الأمم سنة ١٩٣٢ ولكن هناك بعض التفاصيل من الواجب ان نتطرق اليها فلم تكن هناك بنايات للمدارس بل بيوت تؤجرها الحكومة ولكنها لا تفي بالحاجة وأهتم بالتعليم الملك فيصل الأول سجل نفسه معلماً في المدرسة المأمونية الابتدائية في الميدان وسجل ابنه الأمير غازي في فرقة كشافة المدرسة المذكورة. ولما كانت الحاجة ملحة للمعلمين فقد افتتحت الحكومة ثلاث مدارس للمعلمين وهي دار المعلمين الأولية وتكون الدراسة فيها سنتين بعد الابتدائية وبتوجيه من الأستاذ المربي ساطع الحصري مدير المعارف العام وصديق الملك فيصل الأول الذي قام التعليم على اكتافه في العشرينيات وتعاقدت الحكومة مع معلمين من سوريا ولبنان وفلسطين ومصر ومنهم على سبيل المثال نجيب مشرفي ولبيب الاسكندراني وأدوارد جرجي ودرويش المقدادي وفريد السعد وجلال زريق وغيرهم الكثير. وتوزعوا على المدارس الثانوية وكانت الثانوية المركزية مرسماً كبيراً لتدريس الرسم مع المدرس شوكت سليمان ويذكره الرسامون مثل الدروبي. فقد درس على يديه وفي قاعة المدرسة أيضاً بيانو ويقوم المعلم جاك سوفير بتعلم التلاميذ العزف على البيانو. وحين رجع العراقيون من بيروت يحملون الشهادات الجامعية تبرع الأستاذ ابراهيم اسماعيل فقام بتعليم لعبة كرة السلة وكان من المبرزين فيها الطيار كاظم عبادي.. أما شقيقه أركان العبادي فكان بطلاً في رمي (الرمح) ثم افتتحت الكليات. ففي الرستمية فتحت كلية الزراعة وتكون الدراسة فيها سنتين وكلية الهندسة في الرستمية أيضاً. أما الحقوق فبدأت في العهد العثماني وتجددت في العشرينيات وقبلت في صفوفها حتى الذين يتقدمون بشهادات من العلماء والفقهاء بأنهم كانوا تلاميذهم. وقد كتب الكثير عن الكلية الطبية ولكن المهم هو حاجة التلاميذ الى الجثث لتشريحها وكان يوفرها الملا عبد والملا خضر المستخدمان في المستشفى الملكي ذلك ان الأموات كثيرون فيه وليس هناك من يسأل عنهم ومن السهل جداً الحصول على جثة لتشريحها ما دام الملا عبد والملا خضر موجودين وهناك مدارس دينية في الجوامع مثل مدرسة عبدالوهاب أفندي ومدرسة محمود شكري الآلوسي. كانت طبقة المعلمين في الثانويات متفتحة اجتماعياً وثقافياً وهم الذين قادوا حركة السفور والحجاب في العشرينيات ومنهم عوني بكر صدقي وشفيق سلمان وعبدالكريم جودت وناصر عوني ونوري ثابت ويحيى قاف وعباس فضلي خماس وكان اشهر مدير في الثانوية طالب مشتاق ولدار المعلمين يوسف عزالدين الناصري وللابتدائية سعيد بهجت وللبنات آمنة سعيد. وفي أواخر العشرينيات تسلم خريجو الجامعة الأمريكية في بيروت مهمة التدريس في الثانويات ومنهم حافظ جميل وفؤاد الانكرلي للأحياء وشيت نعوم للفيزياء وكاظم الخضيري للانكليزي.

عد المرحوم الكاتب الاستاذ عبد الرزاق الهلالي من الكتاب العراقيين الذين عنوا عناية خاصة بدراسة تاريخ التعليم في العراق فاصدر نتيجة هذه الدراسة كتابين هما تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ثم تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني وبسبب هذه الدراسة والتتبع لهذا التاريخ الطويل الممتد من سنة ١٦٣٨ الى سنة ١٩٣٢ وقف الكاتب الهلالي على كثير من الحقائق المهمة والطرائف النادرة التي تتعلق بشؤون التعليم في هذه البلاد... حيث يقول: لما كنت اعرف اهمية وطرافة بعض هذه الحقائق والطرائف التي قد تكون جديدة على اذهان ابناء الجيل المعاصر في العراق وبالنظر لكون الكشف عنها يلقي ضوءا ساطعا على الاسس التي قام عليها التعليم في العراق في مطلع القرن العشرين.. ومن هذه الحقائق والطرائف..

كانت الدائرة المسؤولة عن شؤون المعارف في ولاية بغداد سنة ١٩٠٨ تتألف من مدير وثلاثة موظفين كانوا اشبه بالاميين وقد وصفهم الشاعر الكبير معروف الرصافي قائلا:

الجهل اجمعه بدا
لدائرة المعارف مستدير
اعضاؤها ورئيسها
في الجهل ليس لهم نظير
وافى النذير بعزلهم
يا حبذا هذا النذير
لما اتى ارخت لا
(رجعت ولا رجع الحمير)

قال الشاعر الرصافي هذه الابيات مستبشرا بعزلهم بقرار من الهيئة الاصلاحية التي زارت العراق انذاك.. ولكن الذي حدث بعد ذاك ان هذه الدائرة تولاها مدير جديد ولكنه اشد جهلا ولهذا سارع الرصافي فقال:

معارف بغداد قد جاءها
مدير من الطيش في مسرح
حمار ولكنه ناطق
صبي ولكنه ملتحي
فيا ايها العلم فيها ارتحل
ويا ايها الجهل فيها اسلح

وفي سنة ١٩١٤ نقل مدير المعارف وعين السيد حكمت سليمان (الذي اصبح وزيرا ورئيسا للوزراء فيما بعد) وكيلا للمدير... ثم ما لبث حتى ثبت مديرا اصيلا وظل في المنصب هذا حتى عام ١٩١٧,

ومن الوقائع الطريفة التي رواها لي شخصيا المرحوم حكمت سليمان هاتان القصتان الطريفتان ارويهما للقارئ على الوجه الاتي:

كان المرحوم جميل صدقي الزهاوي عضوا في مجلس معارف بغداد في اواخر العهد العثماني وحدث ان اثير موضوع فتح مدرسة للاناث في بغداد فحول أي الامور جرى النقاش في المجلس؟

انه جرى وطال حول مواصفات البناية التي تصلح مكانا لهذه المدرسة واستقرا ر رايهم على ثلاثة شروط هي:

١-ان تكون البناية ليس فيها شبابيك على الشارع.

٢-ان لا تكون الدور المجاورة لها متسلطة عليها ولا تكون في الدور المجاورة اشجار عالية من النخيل او النبك.

وبينما الاعضاء والباشا رئيس المجلس يفكرون في هذه الدار طلب الزهاوي الكلام وقال: لقد وجدت هذا المكان فانه في الواقع تنطبق عليه هذه الاوصاف تماما.

قالوا: واين هو؟.. قال: انها منارة سوق الغزل..

فلما سمعوا ذلك ضحكوا وظلت نكتة الزهاوي هذه مدار الحديث والتعليق حتى يومنا هذا.

اما القصة الثانية التي رواها لي المرحوم حكمت سليمان في القصة التي كيف استطاع وهو مدير معارف بغداد ان يبني بنايات لثلاث مدارس بمبلغ الرشوة الذي قدم للوالي جاويد باشا..

اما كيف حدث ذلك فالى القارئ التفصيل:

قال المرحوم حكمت: كانت بيني وبين جاويد باشا والي بغداد صداقة فكنت ازوره في داره مساء كل يوم.. وفي ذات مساء وجدته مهموما وقد بدا على وجهه الغضب فلما رايت ذلك قلت متسائلا:

اراك اليوم غاضبا يا باشا ما الخبر؟

قال: اتقبل ان اكون مرتشيا؟

قلت:لا.. ولكن ما القصة؟.. قال: جاءني اليوم سيدان من اهالي النجف وبيدهما مبلغ ٤٠٠٠ ليرة ذهبا وطلبا مني ترشيح احدهما (كليدارا) في النجف لقاء هذا المبلغ!.

قلت: وماذا فعلت؟ قال: طردتهما في الحال.. قلت: لا باشا.. انت غلطان انا اشوف لازم تاخذ المبلغ منهما.. قال: يعني تريدني ارتشي؟

قلت: لا يا سيدي.. خذه منهما وسلمه لي لكي ابني به بعض بنايات للمدارس قال: والله فكرة... لكنهما ربما سافرا الى النجف؟

قلت: دع هذا الامر لي فانا سابحث عنهما واقول لهما ان الوالي يريدكما حتى اذا جاءا الى مكتبك ادخل انا بعد فترة.. عند ذلك تقول امامهما:

خذ يا حكمت هذه المبالغ وابن بها بنايات للمدارس وهكذا تمت هذه الخطة وسلم المبلغ فاودعته الى البانك وشكلت لجنة مني ومن عبد القادر الخضيري وعزت الفارسي للاشراف على الصرف وبهذا المبلغ بنينا ثلاث بنايات لا تزال قائمة حتى يومنا هذا هي (مدرسة الخاتونية) أي مدرسة دار المعلمات و (دار البعثات) المقابلة للنادي العسكري ومدرسة الاتحاد التي اصبحت بعد ذاك تسمى (بمدرسة المأمونية).